Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العربية في الشمال الإفريقي (تونس، المغرب، ليبيا، الجزائر)، وفي إحدى هذه الغارات أُسر مع آخرين من قبل قوات البحرية العربية والتركية، واقتيد إلى أحد سجون الجزائر (أعني السجون التركية في الجزائر) ليقضي فيه خمس سنوات صعبة، ولم يخرج من السجن إلا بفدية مالية تبعاً للعرف الذي كان سائداً آنذاك، وقد تعلم، في أثناء أسره وسجنه، الكثير من العادات والتقاليد والكلمات العربية، وبدت آثار سجنه في الجزائر واضحة في العديد من أعماله الأدبية، وخصوصاً في (دون كيشوت). بعد فك أسره، عاد سرفانتس إلى أسبانية، فتنقل ما بين المدن الأسبانية (بلد الوليد، ومدريد، وأشبيلية) وقد صار عمره حوالي ثلاثة وثلاثين عاماً. وانغمس في الملذات وطلب الشهوات الزائفة لدى بنات الهوى، فتمخض ارتباطه بإحداهن عن بنت غير شرعية أثيرت حولها الأقاويل التي أساءت إليها (الابنة) وإلى أبيها على حد سواء.

عمل سرفانتس في وظيفة محصل ضرائب طوال سنوات عديدة، لكنه لم يستمر في هذه الوظيفة التي كانت تتطلب منه النزاهة، والتعب، لذلك صار يعمل في كتابة بعض النصوص للفتيات اللواتي لا يستطعن الكتابة؛ نصوص متعددة الأشكال والأنواع كالرسائل، والقصص الغرامية، والبوليسية، والأشعار، والحكايات، والمسرحيات القصيرة، قليلة المشاهد.

وقد عرف سرفانتس ككاتب اعتباراً من عام (1583) أي حين كان عمره ستة وثلاثين عاماً، وذلك حين كتب قصة رعوية عنوانها (غالطية)، ولم ينشرها إلا سنة (1585) متأثراً بالأدب الإيطالي إذ كانت القصص الرعوية شديدة الانتشار آنذاك. وراح سرفانتس يتردد على الأمكنة الأدبية فيحضر المناقشات والقراءات والحوارات ويشارك فيها، ويتعرف إلى الأدباء والكتّاب، ولكنه لم يحظَ بصداقة بارزة مع أي منهم، بل إن تقربه منهم أثار حفيظتهم عليه لما اتصف به من ضعف وادعاء في آن معاً، فقد كان يتفاخر باطلاعه على الأدب الإيطالي، فيصفه بأحسن النعوت وأبهاها، ويذم الأدب الإسباني بأقذع النعوت وأخسها، وهو الذي لم يبدِ بعد أي لفت للانتباه فيما يكتبه، وقد استحكم العداء بينه وبين أحد أبرز كتّاب المسرح الاسباني فراح يكيل إليه التهم كيفما اتفق له الأمر، وصوّره على أنه يقف في طريق شهرته الأدبية، وهو لم يكن معروفاً بعد على الإطلاق.

والحق، أن نقاد أدبه اتفقوا جميعاً على رأي فحواه أن مسرح سرفانتس ضعيف ومهلهل لا يعطي اعتباراً للحبكة، وأن الدراما فيه باهتة، وشخصياته